1430هـ/2009م

الوصـل والفصـل فـي سـورة عبـس

م.د. معن توفيق دحام*

تاريخ التقديم: 2008/4/15 تاريخ القبول: 2008/6/18

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

يبقى القران الكريم مدار التأمل والإعجاز، ومن ذلك الإعجاز نظم الجملة وتركيبها، إذ يبرز أسلوب الوصل والفصل في إبراز ظاهرة تعانق المعاني على وفق جمالية المفردة والجملة، ومن بين السور القرآنية التي تتجلى فيها خصائص التعبير القرآني سورة عبس، إذ نجد ظاهرة الوصل والفصل تشكل لوحة موضوعية ونسيجاً بلاغياً في ترابط أهدافها من مطلعها إلى حسن الانتهاء.

جاء عنوان البحث ليتناول جانباً من الإعجاز البلاغي في الجملة العربية تحت ظلال "الوصل والفصل في سورة عبس"، اعتمد على تمهيد كمدخل لتحليل سورة عبس بلاغياً، لقد بينت السورة كلها قوة الضعيف (ابن أم مكتوم) وضعف القوى من كفار مكة، ضعف الأول في فقد بصره ولكن مع قوة العقيدة والإيمان الراسخ مقابل قوة العناد والكبرياء في ضعف الإرادة وفي اعتناق الإسلام، تناولت في التمهيد نشأة مصطلح الفصل والوصل في الدرس اللغوي بدء من الدرس المعجمي ومروراً بالدرس النحوي ووقوفاً عند جهود البلاغيين، وقد بينا سبب نزول مطلع السورة، ثم جاء الجانب التطبيقي لمواضع الفصل والوصل من خلال تحليل سورة عبس، انتهى مطاف البحث بعرض أهم ما توصلت إليه الدراسة.

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل.

ختاماً نسال الله عز وجل أن يتقبل منا ما قدمنا وأن يجعله خالصا لوجه الكريم وأن لا يحرمنا أجره في الدارين، فلله وحده المنة والفضل ومنه التوفيق والحمد لله أولاً وأخراً.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

التمهيد: مصطلح الوصل والفصل في الدرس اللغوي

قبل الولوج إلى تحديد مفهوم المصطلح عند البلاغيين لابد من الوقوف عند الدلالة اللغوية لبيان مفهوم الألفاظ في المعجم العربي، ويمكن أن نبدأ من مصطلح (الفصل) الذي يدل على تمايز الشيء من الشيء، قال ابن فارس [(1)]: "الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فصلت الشيء فصلاً، والفيصل: الحكم، والفصيل: ولد الناقة إذا افتصل عن أُمه، والمفصل: اللسان لأنه به تفصل الأمور وتميز.. والمفاصل مفاصل العظام، والمفصل (بفتح الميم): ما بين الجبلين والجمع مفاصل..."، وقد توسع ابن منظور في المعاني الدلالية لاستعمال مادة (فصل) ليجمع بين الدلالة الحسية والمعنوية أي معنى البون والحاجز ومعنى القضاء بين الحق والباطل، والفصلة (بفتح الفاء وسكون الصاد) تدل على النخلة المنقولة المحمولة، ونجد دلالة المعنى في التمايز بين شيئين إذا انفصلا [(2)]، و "الفصل: فصله فصلاً: ميزه، وفصل فصولاًَ: انفصل ويقال: فصل فلان عندي فصولاً: إذا خرج من عنده وفصل مني إليه كتاب: نفذته إليه". وهو مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول[(3)]، كما أنَّ الفصل في القوافي: هو كل تغيير اختص بالعروض ولم يجر مثله في حشو البيت، وهذا إنما يكون بإسقاط حرف متحرك فصاعداً فسمي فصلاً"[(4)]، وقد ذكر صاحب كتاب التعريفات مصطلح الفصل بما هو اقرب إلى

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس: 505/4.

(2) ينظر لسان العرب، لابن منظور: 521/11، 523.

(3) الكليات، للكفوي/678،

(4) م.ن/686.

الدرس البلاغي ومصطلح أهل المعاني فقال "والفصل في اصطلاح أهل المعاني ترك عطف بعض الجمل على بعض بحروفه، والفصل: قطعة من الباب مستقلة بنفسها منفصلة عما سواها"[1].

أمّا الوصل فهو على خلاف الفصل، فإذا كانت دلالة الفصل على البعد والتباين بين الشيئين فإنَّ الوصل يدل على الضم والجمع الذي هو ضد الهجران، قال ابن فارس[2]: "الواو والصاد واللام: أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه ووصلته به وصلاً، والوصل: ضد الهجران، وموصل البعير: ما بين عجزه وفخذه... والوصيلة: الأرض الواسعة، كأنها وصلت فلا تنقطع" ومنه الدلالة المعنوية (التوصل إلى معرفة الشيء) و "اتصل الشيء بالشيء لم ينقطع... ووصل الشيء إلى الشيء وصولاً وتوصل إليه: انتهى إليه وبلغه.. ووصله إليه وأوصله أنهاه إليه وأبلغه إياه... "[3].

ومن التوسع اللغوي في استعمال (الوصل) ان الوصل يستعمل "في الأعيان وفي المعاني، يقال: وصلت فلاناً ... وقوله عز وجل ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ**﴾ سورة القصص/51، أي أكثرنا لهم القول موصولاً بعضه ببعض، وموصل البعير لكل موضعين حصل بينهما وصلة نحو ما بين العجز والفخذ"[4].

واما مصطلح الوصل فهو: عطف بعض الجمل على بعض [5]، إذ نجد مفهوم مصطلح الوصل والفصل عند البلاغيين يعني مجيء الواو وتركها [6]، إذ المعيار في ذلك هو العطف بالواو أو ترك الواو وذلك لاغراض ومعاني بلاغية يقتضيها السياق، "والفصل والوصل وسيلة من وسائل إبراز الجمال مع غيره من

---

(1) الجرجاني/95.

(2) مقاييس اللغة: 115/6.

(3) لسان العرب: 726/11.

(4) المفردات، للراغب الاصفهاني/525.

(5) التعريفات، للجرجاني/137.

(6) ينظر دلائل الاعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني/ 241، ينظر مفتاح العلوم، للسكاكي/119، والتلخيص في علوم البلاغة، للقزويني/175.

الأساليب وله أدوات إنْ فصلاً وأنْ وصلاً وطرق لأداء وظيفته فقد يفصل القران الكريم بين معنيين أو يربط بينهما متخذاً الإيضاح وسيلة لإبراز جمال المعنى فيعرضه جلياً لا شركة فيه ولا لبس... والفصل والوصل في كل هذا يراعي دائماً إثارة عقول المخاطبين بمختلف درجات استيعابهم وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها وميولها وكذا وجدانهم وأذواقهم.."[(1)].

فموضوع الفصل والوصل هو "الواو" مع مراعاة التناسب بين الجملتين أي الترابط بين الصورة والمعنى لأنَّ "الوصل جمع وربط بين جملتين بالواو خاصة لصلة بينهما في الصورة والمعنى أو لدفع اللبس، والفصل ترك الربط بين الجملتين إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى أو بمنزلة المتحدتين وإما لأنه لا صلة بينهما"[(2)]، وهذا مدخل إلى بيان جمالية مواضع الفصل والوصل في الدرس البلاغي، وقبل بيان تلك المواضع لابد من الوقوف عند (الواو) العاطفة فهي لمطلق الجمع أي إن المعنى يتحمل ثلاثة أمور، وذلك لأن "الواو للجمع بين الشيئين من غير ترتيب ولا مهلة فإنْ قلت: قام زيد وعمرو، احتمل الكلام ثلاثة معان: أعني أنْ يكون زيد قام قبل عمرو أو عمرو قبل زيد بمهلة أو غير مهلة وأنْ يكونا قاما معاً"[(3)].

وهذا ما يعرف في الدرس النحوي بعطف النسق و "هو حمل اسم على اسم أو فعل على فعل أو جملة على جملة بشرط توسط حرف من الحروف التي وضعتها العرب لذلك، فقولنا: حمل اسم على اسم أو فعل على فعل أو جملة على جملة لأنه لا يجوز العطف فيما عدا ذلك.." [(4)]، وقد ذكر ابن هشام الانصاري نكتة نحوية أخرى فقال: "ومعناها مطلق الجمع فتعطف الشيء على مصاحبه نحو ﴿**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ**﴾ العنكبوت/15، وعلى سابقه نحو ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا**

---

(1) الفصل والوصل في القران الكريم: د. منير سلطان/193.

(2) جواهر البلاغة، لاحمد الهاشمي/ 171، ينظر دلالات التراكيب، د. محمد موسى/ 275 – 276.

(3) شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الاشبيلي: 93/1، ينظر المعجم النحوي لمفردات اللغة العربية، لعبد الحميد ديوان/207 – 208.

(4) شرح جمل الزجاجي: 91/1

نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ الحديد/26، وعلى لاحقه نحو **﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** الشورى/3، وقد اجتمع هذان في **﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾** الاحزاب/7، فعلى هذا إذا قيل قام زيد وعمرو، احتمل ثلاثة معانٍ، ويجوز أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخ نحو **﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** القصص/7، فان الرد بعد إلقائه في اليم والإرسال على رأس أربعين سنة[1].

والجملة العربية ذات معنى دلالي واحد "وتقتضي وحدة المعنى الدلالي ائتلاف المعاني الجزئية داخل الجملة بطريقة العلاقات النحوية السياقية ولا تستوي العلاقات النحوية فبعضها وثيق كعلاقة الشيء بنفسه وبعضها واهن كعلاقة الشيء بغيره، ومن هنا كان سبيل الائتلاف بين المعاني الجزئية هو الارتباط والربط وهذا الائتلاف هو أساس النظام التركيبي للجملة" [2]، وتنفرد (الواو) عن سائر أحرف العطف بخمسة عشر حكماً وهي: (احتمال معطوفها للمعاني الثلاثة السابقة – اقترانها بـ (أما) – اقترانها بـ (لا) إنْ سبقت بنفي ولم نقصد المعية – اقترانها بلكن – عطف المفرد السببي على الاجنبي عند الاحتياج إلى الربط – عطف العقد على النيف – عطف الصفات المفرقة مع اجتماع منعوتها – عطف ما حقه التثنية أو الجمع – عطف مالا يستغنى عنه – عطف العام على الخاص أو بالعكس – عطف عامل حذف معموله على عامل آخر مذكور يجمعها معنىً واحد – عطف الشيء على مرادفه – عطف المقدم على متبوعه للضرورة – عطف المخفوض على الجوار [3]، وكل ذلك على وفق ضوابط اللغة وسلامة التعبير أي ما يعرف بالمناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه، فلا تقول: محمد كاتب وأخوك أعرج إذ لا جامع بين الجملتين، أو يكون الخبر في الثاني مما

---

(1) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، لابن هشام الانصاري: 463/1، ينظر نيل الاماني بشرح جواهر البيان والبديع والمعاني/109.

(2) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة/195.

(3) ينظر مغني اللبيب: 464/1– 467، ينظر النحو الوافي، عباس حسن: 560/3– 565.

يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الاول مثال: زيد طويل القامة وعمرو شاعر فلا توجد مشاكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر، وإنما الواجب أنْ يقال زيد كاتب وعمرو شاعر وزيد طويل وعمرو قصير [1]، وضابط عطف الشيء على نفسه أو مرادفه بشرط زيادة فائدة في المعطوف ليست في المعطوف عليه فإن لم تكن فائدة لم يصح العطف مثل ذلك قوله تعالى ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا** ﴾ سورة البقرة/133، فإله آبائه هو إلهه ولذا قال (إلها واحداً) وصح العطف لأن في الثاني زيادة فائدة ليست في الأول ولان الشيء لا يعطف على نفسه[2]، وحروف العطف في الدرس النحوي (تسعة) هي: الواو والفاء وثم وحتى وأو وأم وبل ولا ولكن.

وبلاغة أسلوب الوصل لا تحقق إلا بالواو العاطفة دون غيرها من حروف العطف فهي كما بينا لمطلق الجمع، أما بقية حروف العطف فإن لها معنى آخر إلى معنى العطف فالفاء للترتيب والتعقيب، وثم للترتيب والتراخي، وحتى للغاية والتدريج، لا للترتيب وهكذا [3]، والجمل التي لها محل من الإعراب فحكمها التشريك والمناسبة والتي لا محل لها من الإعراب كحكم المفرد، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أنّ الجمل على ثلاثة أضرب:

1. جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة، لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه.
2. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنّه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أنْ يكون الاسمان فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف.

---

(1) ينظر دلائل الإعجاز/241، ينظر الطراز، للعلوي: 33/2 – 34.

(2) ينظر معاني النحو، د. فاضل السامرائي: 218/3، 223

(3) ينظر شرح قطر الندى، لابن هشام الانصاري/337 – 343، ينظر جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: 560/3، ينظر معجم قواعد اللغة العربية في جداول ولوحات، انطوان الدحداح/224.

3. وجملة ليست في شيء من الحالتين بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه ولا مشاركاً له في معنى بل هو شيء إنْ ذكر لم يذكر إلا بامر ينفرد به ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً، وحق هذا ترك العطف البتة فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الامرين وكان له حال بين حالين [1]، وإنَّ الأصل في الوصل إنما يكون في المفردات "لان الإعراب في المفردات لوجود مقتضيه فيها وإعراب الجمل إنما هو لقيامها مقام المفردات" [2] وهذا "يعتمد معرفة اصولٍ ثلاثةٍ: أحدها الموضع الصالح له من حيث الوضع، وثانيها فائدته وثالثها: وجه كونه مقبولاً لا مردوداً" [3]، وهذا ما يعرف بمحسنات الوصل لتناسب الجملتين والى هذا أشار الجرجاني بقوله: "واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب، وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف أن الكلام قد استؤنف وقطع عما قبله لا تطلب انفسهم منه زيادة على ذلك ولقد غفلوا غفلة شديدة"[4].

وأما مواضع الفصل عند البلاغيين فهي (خمسة):

1. أن يكون بين الجملتين إتحاد تام وامتزاج معنوي حتى كأنهما أُفرغا في قالب واحد ويسمى ذلك كمال الاتصال وهو بمنزلة البدل أو بيان لايهام في الجملة الاولى أو بالتوكيد.

---

(1) دلائل الإعجاز/254.

(2) شرح التلخيص، للشيخ اكمل الدين/ 373، ينظر بلاغة العطف في القران الكريم، د. عفت الشرقاوي/96.

(3) مفتاح العلوم/120.

(4) دلائل الاعجاز/245.

2. أن يكون بين الجملتين تباين تام بدون إيهام خلاف المراد ويسمى ذلك كمال الانقطاع، مثال: علي كاتب، الحمام طائر.
3. أن يكون بين الجملتين رابطة قوية ويسمى ذلك شبه كمال الاتصال لانها تكون جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى كما في قوله تعالى ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ سورة يوسف/53، أي لماذا؟ والجواب: إن النفس لأمارة بالسوء، وهذا ما يسمى بالاستئناف البياني.
4. أن يكون بين الجملة الأولى والثانية جملة أخرى ثالثة متوسطة حائلة بينهما: ويسمى شبه كمال الانقطاع كقول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها		بدلا أراها في الضلال تهيم

5. أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط لكن يمنع من عطفها مانع وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم ويسمى ذلك التوسط بين الكمالين، كما في قوله تعالى ﴿**وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ سورة البقرة/14، 15[1].

وأما مواضع الوصل فهي (ثلاثة):

1. إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والانشائية لفظاً ومعنىً مثال الخبريتين قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(13)وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾ سورة الانفطار/ 13-14، ومثال الانشائيتين قوله تعالى: ﴿**فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ﴾ سورة الشورى/15، ومن جمالية الوصل قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ سورة هود/ 54، إذ التقدير: إني أُشهد الله واشهدكم، فالجملة الثانية انشائية لفظاً ولكنها خبرية في المعنى. فالمعيار الفاصل هو المعنى وليس ظاهر اللفظ.
2. دفع توهم غير المراد، وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والانشائية وكان الفصل يوهم خلاف المقصود، كما تقول مجيباً لشخص بالنفي: لا شفاه الله، لمن يسألك: هل بَرِئَ علي من المرض؟ فترك الواو يوهم السامع الدعاء عليه

---

(1) ينظر الايضاح في علوم البلاغة، للقزويني/ 143، 146، ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب: 3/119 – 124.

وهو خلاف المقصود لأنَّ الغرض الدعاء له، وهذا ضابط بلاغي يظهر جمالية الأداء اللغوي التنغيمي.

3. إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع نحو: علي يقول ويفعل [(1)]، من هذا يتبين لنا "أن طريقة القران تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها، وفي التمكين للمعنى بحس الكلمة وصفتها ثم الافتنان فيه بوضعها من الكلام وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات لا يتفاوت ذلك ولا يختل..." [(2)]، وقد يترشح الدرس الصوتي في جمالية أسلوب الوصل كما في قوله تعالى ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾ النساء/142 وقوله ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ آل عمران/ 54 إذ نجد أسلوب الوصل بالواو الذي يحقق "الفائدة المعنوية بمشاكلة اللفظ بالآخر وإعطائه حكمه والفائدة الصوتية المتحققة بتكرار تلك الألفاظ ما يمكّن تلك الألفاظ من سياقاتها ويربط بين الجمل ربطا لا سبيل إلى الفكاك منه"[(3)].

وقبل البدء في الرحلة البلاغية مع جماليات الوصل والفصل ومحسناته في السورة الكريمة نود بيان سبب نزول مطلع السورة وهو قوله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى {1} أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى**﴾ عبس/1-2، والمقصود هو ابن أم مكتوم، فقد أتى النبي (ﷺ) والرسول يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام وعباس بن عبد المطلب وأبياً وأمية بن خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم فقام ابن أم مكتوم، وقال يا رسول الله: علمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله (ﷺ) لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد

(1) ينظر جواهر البلاغة/173، ينظر بلاغة العطف في القران الكريم/126.
(2) إعجاز القران والبلاغة النبوية، مصطفى الرافعي/206.
(3) السور المدنية دراسة بلاغية اسلوبية، د. عهود عبد الواحد/193.

فعبس رسول الله (ﷺ) وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه الايات، فكان رسول الله (ﷺ) بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه يقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي(1).

سورة عبس:

قال تعالى ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى {1} أَن جَاءهُ الأَعْمَى {2} وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى {3} أو يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾ (1–4)

بعد بيان مناسبة نزول الآيات الكريمة، يمكن الوقوف عند أهم المعاني لاسلوبي الوصل والفصل لاستجلاء أهم الدروس والعبر التي يقرها الخطاب القرآني إذ تتشكل الوحدة الموضوعية لعنوان السورة من مطلعها في جمالية الوصل والفصل في قوله تعالى ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءهُ الأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى**﴾، تواشجاً مع قوله تعالى ﴿**وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى {7} وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى {8} وَهُوَ يَخْشَى {9} فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾ /7–10.

فنجد الوصل في مطلعها بين الفعلين (عبس) و(تولى) لأن بؤرة الحديث عتاب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وبيان مكانة الأعمى ابن أم مكتوم (رضي الله عنه)، ومن جمالية الاقتران بين الفعلين أنْ برزا في فن الوصل ويمكن أن نجد في ذلك (ثلاث) نكت بلاغية:

الأولى: المناسبة الجامعة بين العبوس والتولي إذ يكشفان عن موقف الرسول عليه الصلاة والسلام وهو منشغل بدعوة كفار مكة وصناديدها، والجامع بين الفعلين أنّ العبوس متعلق بالوجه و(العبوس قطوب الوجه من ضيق الصدر.. ومنه قيل يوم عبوس"(2)، وأما التولي ففيه معنى الإعراض ويكون بالجسم أو بترك الإصغاء (3)، وقد عده ابن عاشور من جمالية الاستعارة لعدم الاشتغال بسؤال سائل ولعدم الاقبال على الزائر(4).

---

(1) أسباب النزول للواحدي/252.

(2) المفردات/320.

(3) م.ن/534.

(4) التحرير والتنوير، لابن عاشور: 104/30.

ومنه نجد جمالية الترابط المعنوي الذي يرسم لنا ابعاد التصوير البليغ لحال رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو منشغل يدعو إلى الله عز وجل "وينفرد الأسلوب القراني بالقدرة على عرضها في هذه الصورة في لمسات سريعة وفي عبارات متقطعة وفي تعبيرات كأنها انفعالات ونبرات وسمات ولمحات حية (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) بصيغة الحكاية عن أحد آخر غائب غير المخاطب... "[1].

الثانية: من جمالية الوصل بلاغة الالتفات في خطاب النبي عليه الصلاة والسلام بضمير الغائب بدل الخطاب المباشر، إذ لم يقل مثلا: عبست وتوليت، وذلك "إجلالاً له (ﷺ) لايهام أنّ من صدر عنه ذلك غيره لأنه لا يصدر عنه (ﷺ)"[2] تكريماً له، وقد ذكر الرازي نكتة أُخرى فقال: "إنْ الأهم مقدم على المهم وهو كان قد أسلم وتعلم ما كان يحتاج إليه من أمر الدين أما أولئك الكفار فما كانوا قد أسلموا.. "[3].

الثالثة: قوله تعالى ﴿**أَن جَاءهُ الأَعْمَى**﴾ فقد أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد قوله: رجل من بني فهر يقال له ابن ام مكتوم [4]، وجاء بالفصل تعليلاً لفاتحة الخطاب وبيان سبب هذا العتاب الرباني فـ "أن" في موضع نصب لأنه مفعول له والمعنى لأن جاءه الأعمى أي الذي لا يبصر بعينيه" [5]، ومن جمالية النظم معنى التأنيس المفاد من الجملة الخبرية فقد ذكره بصفة العمى لأن "ذكره بلفظ الأعمى ليس لتحقير شأنه بل كأنه قيل: إنه بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرأفة"[6]، ومن جمالية التقديم والتأخير الدرس الصوتي "كما تبدو لنا رقة العتب صوتياً باستعمال ضمير الغائب (الهاء).. بدل الكاف كان يقال: جاءك الأعمى

---

(1) في ظلال القران، لسيد قطب: 458/8.

(2) روح المعاني، للالوسي: 332/14.

(3) التفسير الكبير، للرازي: 55/31.

(4) التفسير الصحيح موسوعة الصحيح الميسور، أ. د حكمت بشير: 591/4.

(5) الجامع لأحكام القران، للقرطبي: 138/19.

(6) التفسير الكبير: 56/31.

فالهاء مهموس رخو خفي، أما الكاف فمهوس شديد انفجاري يعبر عن المواجهة لأنه ضمير خطاب"[1]، ولما وقع الإعراض عنه من الرسول عليه الصلاة والسلام جاء الفصل كاشفاً لهذا المعنى، ولأجل المناسبة في بيان حرص الأعمى على استماع القران الكريم والتعلم من النبي عليه الصلاة والسلام أعقبه بأسلوب الوصل تكرماً له (﵁) للانتفاع من مجالسة الرسول عليه الصلاة والسلام فقال تعالى ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أو يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾.

إذ يرشح السياق الوصل مع أسلوب الاستفهام التركيبي مع الفعل المضارع (يدريك) لنكتة بلاغية إذ "المعنى أي شيء يجعلك دارياً وانما يستعمل مثله لقصد الإجمال ثم التفصيل" [2]. الذي تمثل بالأسلوب الخبري الابتدائي تمهيداً لما بعده ورفعة لشان الأعمى (﵁) وكرامة له لصدقه في الإقبال إلى مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام و"ذلك لما فيه من الإيناس بعد الإيحاش والإقبال بعد الإعراض"[3]، لذا خصه بصفة التزكية والانتفاع من عوائد الذكرى كما قال (فتنفعه الذكرى) أي "موعظتك وتكون له لطفاً في بعض الطاعات، والمعنى أنك لا تدري ما هو مترقب منه من ترك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك" [4]، ومنه تظهر مكانة الذكرى وأثرها في الهداية والتزكية والارتقاء في منازل الإيمان باعتبار حال السامع، وهذا يظهر أيضا مكانة التوجيه النبوي وأثره في نفوس المخاطبين باعتبار المتكلم.

والجامع بين الأمرين (التزكية والذكرى)، الانتفاع منهما أو من أحدهما "أي تحصل الذكرى في نفسه بالإرشاد لما لم يكن يعلمه أو تذكر لما كان في غفلة عنه"[5].

---

(1) بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عم يتساءلون) عزة عدنان احمد (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب/جامعة الموصل/2005) /80.
(2) التحرير والتنوير: 106/30.
(3) روح المعاني: 332/14.
(4) الكشاف، للزمخشري: 544/4.
(5) التحرير والتنوير: 107/30.

ومن جمالية التعبير القرآني الكشف عن نية المعرضين عن الدعوة والاستجابة لرسالة التوحيد فجاء فن الفصل كاشفاً لهذا المعنى الذي يصف حالهم وإعراضهم بقوله ﴿**أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى {5} فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى**﴾ /5-6 ثم يعاضده فن الوصل في جمالية التقابل السياقي، بقوله ﴿**وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى { 8} وَهُوَ يَخْشَى {9} فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾ /8-10.

فنجد جمالية الوصف في تشكيل أبعاد الصورة القرآنية من خلال المفردة القرآنية الجامعة للمعاني الفياضة فكلمة (استغنى) توحي للقارئ بحال السوء والظلم للنفس، فالصيغة تجمع معاني الذم والتكبر لأنّ "الاستغناء عد الشخص نفسه غنياً في أمر يدل عليه السياق، قول أو فعل أو علم، فالسين والتاء للحسبان أي حسب نفسه غنياً وأكثر ما يستعمل الاستغناء في التكبر والاعتزاز بالقوة"(1).

وعبر عن حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على إيمان هؤلاء الكافرين بقوله (تصدى) أي "تعرض، يقال فلان يتصدى لفلان إذا تعرض له ليراه" (2)، فهم بعيدون عن الإيمان وسماع القران الكريم مستغنين بقوتهم وطغيانهم فهم معزولون عنك يا محمد، وهذا يظهر لنا جمالية الفصل في مطلع الآية.

وأما حال المؤمنين المقبلين إليك لأجل الانتفاع وسماع القران الكريم فهم أهل خير وبركة، فكشف لنا النظم القرآني، بلاغة الوصل إظهار مقام الأعمى (رضي الله عنه) فقال تعالى ﴿**وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى { 8} وَهُوَ يَخْشَى { 9} فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾، وقد ذكر الرازي نكتة بلاغية من خلال سؤاله عن كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها؟ وأجاب من وجهتين:

الأولى: كأنه قيل: هذا التأديب الذي أوجبته إليك وعرفته لك في إجلال الفقراء وعدم الالتفات إلى أهل الدنيا.

---

(1) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(2) تفسير غريب القران، لابن قتيبة/514.

الثانية: كانه قيل: هذا القران قد بلغ في العظمة إلى هذا الحد العظيم فأيُّ حاجة به إلى أنْ يقبله هؤلاء الكفار سواء قبلوه أو لم يقبلوه فلا تلتفت اليهم ولا تشغل قلبك بهم وإياك أنْ تعرض عمن آمن به تطيباً لقلب أرباب الدنيا"[1].

ويمكن أن نلحظ في السياق نكتتين بلاغيتين أيضا:

الأولى: جمالية الوصل مع التفصيل في مقام الخطاب تمهيداً لبيان مراتب المدح لابن ام مكتوم (ﷺ)، من خلال استشعار دلالة الأفعال المضارعة (يسعى) – (يخشى) وقد سبقه الحديث كذلك بالفعلين (يزكى – يذكر) لأنَّ الفعل يفيد التجدد والحدوث ويعطي للسامع استحضار الصورة الحركية التي تثير المتلقي ويتصوره في استمرار أنه يسعى ويخشى، وليس ذلك مما يثيره الفعل الماضي لأنَّ سامعه قد يكتفي بأنْ يتخيل فعلاً قد مضى، وربما لا يستحضر صورته أو تكرره[2].

فبدأ بالمدح الظاهري الحركي بقوله (يسعى) و"السعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً" [3]، وهو تعبير عن همته العالية في الإقبال إلى الإسلام "أي وأما من جاءك يسرع ويمشي في طلب العلم لله ويحرص على طلب الخير"[4]، ومن بديع التقابل في المدح أنَّ قوله (وما عليك ألا يزكى) في محل نصب حال من فاعل (تصدى) وقوله (وهو يخشى) في محل نصب حال من فاعل يسعى[5].

وقد ناسبه المدح الباطني بقوله (يخشى) الذي يدل على وجود الاستعداد الفطري الإيماني عند الصحابي الجليل (ﷺ) فـ (الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خص العلماء بها في قوله "إنّما يخشى الله من عباده العلماء" وقال "واما من جاءك يسعى وهو يخشى"[6].

(1) التفسير الكبير: 58/31.
(2) من بلاغة القران، د. احمد بدوي/ 111، ينظر بنية السورة القرانية الواحدة في جزء (عم يتساءلون) /82.
(3) المفردات/233.
(4) صفوة التفاسير، للصابوني: 458/3.
(5) ينظر الجدول في اعراب القران وصرفه وبيانه، محمود صافي: 244/15.
(6) المفردات/149.

الثانية: جمالية الخطاب المتمثل في فن الطباق (تلهى – تصدى) في قوله (فأنت عنه تلهى) مع ابن ام مكتوم (﵁)، مقابل الخطاب في قوله (فأنت له تصدى) مع حال المستغني عن الدعوة، والأسلوب الخبري مستعمل في "إنكار التصدي والتلهي عليه، أي مثلك خصوصاً لا ينبغي له أن يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير"(1)، وليس هذا فحسب انه ميزان التقوى والإيمان، وفي ذلك إشراقة في حياة الداعية الرسول عليه الصلاة والسلام إذ "العبرة من هذه الآيات أنَّ الله تعالى زاد نبيه (ﷺ) علماً عظيماً من الحكمة النبوية، ورفع درجة علمه إلى أسمى ما تبلغ إليه عقول الحكماء رعاة الامم، فنبهه إلى أن معظم الأحوال أو جميعها نواحي صلاح ونفع قد تخفى لقلة اطرادها ولا ينبغي ترك استقرائها عند الاشتغال بغيرها ولو ظنه الأهم"(2).

ومن جهة الدعوة والإصلاح نجد "أن الله تعالى أعلمَ رسوله (ﷺ) أنَّ ذلك المشرك الذي محضه نصحه ولا يرجى منه صلاح وأنّ ذلك المؤمن الذي استبقى العناية به إلى وقت آخر يزداد صلاحاً تفيد المبادرة به، لأنه في حالة تلهفه على التلقي من رسول الله (ﷺ) أشد استعداداً منه في حين اخر"(3).

ولا يفوت أنَّ جمالية فني الفصل والوصل اشتركا في بيان المعاني الإرشادية في حياة الداعية الرسول عليه الصلاة والسلام في بلاغة المقابلة بين الجملتين ثم جاء الجواب الشافي لما تقدم من الصورتين متمثلاً في بلاغة الفصل **﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾** /11-15.

وهو استئناف بياني المراد منه البيان والتوضيح "أي لا تفعل بعدها مثلها من إقبالك على الغني وإعراضك عن المؤمن الفقير والذي جرى من النبي (ﷺ)

(1) الكشاف: 545/4.
(2) التحرير والتنوير: 109/30.
(3) م.ن: 111/30، وهناك تفصيل جميل لهذا الاجتهاد النبوي ومسوغات لمناط العتاب القرآني للرسول الكريم وحكمته، ينظر المصدر نفسه: 112/30 – 114.

كان ترك الأولى كما تقدم" [1]، إنها الموعظة القرآنية والذكرى الخالدة "كأنه قيل: هذا التأديب الذي أوجبته اليك وعرفته لك في إجلال الفقراء وعدم الالتفات إلى أهل الدنيا أُثْبِتَ في اللوح المحفوظ الذي قد وكل بحفظه أكابر الملائكة" [2] وهم الكتبة الكرام المطيعون كما وصفه القران، ولما حصل الالتفات البشري في الإعراض عن ابن ام مكتوم ناسبه في الخطاب فن الالتفات بلاغياً كما ذكرنا.

ثم جاء قوله تعالى: **﴿قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ {17} مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ {18} مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ {19} ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ {20} ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ {21} ثُمَّ إذا شَاء أَنشَرَهُ﴾** /17 – 22، متجليلاً ببلاغة الفصل تشنيعاً لأسوء الصفات ومحور هلاك الإنسان في الدنيا والآخرة ألا وهي صفة الكفر والجحود، ونجد التناسب المعنوي بينها وبين قوله (كلا إنها تذكره) لأنَّ كلتا الجملتين لا محل لها من الاعراب استئنافية[3]، وسر قوله (ما أكفره) أيضاً أنّه استئناف بياني *، ونكتة هذا الفصل أنها جاءت بعد سؤال "فكأنّه قيل: واي سبب في هذا العجب والترفع مع أنَّ أوله نطفة قذرة وآخرة جيفة مذرة... فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح أنْ يكون علاجاً لعجبهم وما يصلح أنْ يكون علاجاً لكفرهم فإنَّ خلقة الإنسان تصلح لأنْ يستدل بها على وجود الصانع ولأنْ يستدل بها على القول بالبعث والحشر والنشر"[4]، وهو من باب الدعاء عليه باللعن والبعد عن رحمة الله تعالى "وهي من أشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها (ما أكفره) تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله ولا ترى أَسلوباً أغْلظ منه ولا اخشن مساً ولا أدلَّ على سخط ولا أبعَدَ شوطاً في المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه"[5]، وقد يرشح التعبير القرآني جمالية الاستفهام، والتقدير "ما الذي أكفره؟،

---

(1) الجامع لأحكام القران: 140/19.

(2) التفسير الكبير: 58/31.

(3) ينظر الجدول في إعراب القران وصرفه وبيانه: 245/15 – 246.

* ان الآية نزلت في عتبة بن ابي لهب حين قال: كفرت برب النجم، ينظر لباب النقول، للسيوطي/227.

(4) التفسير الكبير: 60/31.

(5) الكشاف: 546/4.

أي: أيّ شيءٍ أكفره؟" [1]، وهو من المعاني المجازية الذي يفيد معنى الاستفهام التوبيخي كما ذكره الآلوسي في تفسيره[2].

ثم ترتب على هذا التذكير بأصل خلق الانسان وهي النطفة بيان فضل الله وقدرته على ايجاد الانسان من ماء مهين ثم ذكر السبيل ثم ذكر نهايته بالموت والفناء في جمالية العطف بـ (ثم) التي تفيد العطف مع التراخي أي الفترة الزمنية بين المعطوف والمعطوف فيه فكيف يكفر الانسان بمن خلقه، ومن المناسبة لسياق الآية فن الفصل لأنَّ موضوع الآية في قضية حاسمة وفاصلة لحياة الإنسان ألا وهي العقيدة وكذلك المنازل الفاصلة في حياته وهي الخلق والموت والنشور، لذا ناسبه في أسلوب الفصل بعده أيضا.

إذ إنَّ المقصود من هذا التفصيل والإطناب تقرير قوله تعالى: ﴿**كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ**﴾ /23، "أي ليرتدع وينزجر هذا الكافر عن تكبره وتجبره فإنّه لم يؤدِ ما فرض عليه ولم يفعل ما كلفه به ربه من الإيمان والطاعة"[3].

بعدها انتقل التعبير القرآني إلى مخاطبة الإنسان بما يدوم به عيشه وبقاؤه وحاجته إليه ألا وهو طعامه وشرابه في مقام التذكير بالمنعم سبحانه تعالى وما تفضل به عليهم تأكيداً لعبرة الحياة والموت من خلال النظر والتأمل كما في قوله تعالى ﴿**فَلْيَنظُرِ الإنسان إلى طَعَامِهِ**﴾ /24 وقد خص ذكر الطعام لأنّه "ألصق شيء به وأقرب شيء إليه وألزم شيء له" [4]، والعبرة من الأمر بالنظر إلى الطعام ليست مجردة عن الإيمان وتحريك الأحاسيس لذا قال بعدها ﴿**أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا {25} ثُمَّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقًّا { 26} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا { 27} وَعِنَبًا وَقَضْبًا {28} وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا {29} وَحَدَائِقَ غُلْبًا {30} وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾ /25 – 31.

---

(1) جامع البيان في تفسير القران، للطبري: 58/16، ينظر معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: 221/5.

(2) روح المعاني: 338/14.

(3) صفوة التفاسير: 459/3.

(4) في ظلال القران: 469/8.

إذ نلحظ أسلوبي الفصل والوصل في الآيات، يحرك المتلقي والسامع إلى أحداث هذه المشاركة الذهنية التصويرية لاستجلاء المعاني واستحضارها لأنَّ صورة الطبيعة المتحركة أمامه، إذ تعمل المفردات القرانية على إيجاد الحضور الفكري التي يستظل الإنسان به نعم العطاء والكرم من الله تعالى، وقد ناسب مجيء أسلوب الفصل أسلوب الإطناب بالتفصيل بعد الإجمال لان الامر حاسم إقرارا على المخاطبين وتنبيه الغافلين لأنه يتعلق بالوحدانية لله تعالى فقد جاء الخبر مؤكداً بـ (إن)، فذكر الماء لأنه سبب في إيجاد الموجودات إذ لولا الماء لهلكت الأحياء بعد الهواء، وفيه إيماء إلى خلق الإنسان من ماء، فلينظر إليه نظر الاعتبار والتأمل وقوله (أنَّا صببنا الماء) هو بدل اشتمال من ذكر الطعام "لأنَّ هذه الأشياء تشتمل على كون الطعام وحدوثه" [1]، ويمكن أنْ نُدرك معنى البداية والنهاية في ذكر الطعام ودلالة الانتهاء التي تدل على ضعف المخلوق وحاجته إلى الطعام وهذا يؤمئ إلى وحدانية الله تعالى الفرد الصمد.

ويأتي أسلوب الإطناب بياناً لنعم الله تعالى على خلقه متواشجاً مع بلاغة الوصل في تعداد ما تنبت الأرض، تمثل في جمالية العطف بـ (ثم) وهي تفيد الترتيب والتراخي من باب بيان دلالة القدرة، و(الفاء) في قوله (**فَأَنبَتْنَا**) التي تفيد الترتيب مع التعقيب من باب بيان دلالة الفضل والتكريم على عباده، إذ نجد الاقتران الثنائي بين ذكر النعم، فبدأ التعبير القراني بقوله (حباً وعنباً) إذ المجانسة بينهما أنَّ الحب هو قوت الإنسان والحيوان و"المراد بالحب جنس الحبوب التي يتقوت بها وتُدَّخَرُ كالحنطة والشعير والذرة وغيرها" [2]، وكذلك ذكر الرازي علة التقديم أنَّه كالأصل في الأغذية [3]، ثم ذكر ما يتلذ به الإنسان من الشراب مع طعامه ألا وهو العنب سواء أ كان فاكهة تؤكل أم عصيراً يشرب؟، لأنه غذاء من وجه وفاكهة من وجه [4]، ثم ذكر طعام البهائم (قضباً) "يقال سمي بذلك لأنه

---

(1) التفسير الكبير: 63/31، ينظر الجدول في اعراب القران: 248/15.

(2) روح المعاني: 342/14.

(3) ينظر التفسير الكبير: 63/31.

(4) م.ن: الصفحة نفسها.

يقضب مرة بعد مرة أي يقطع" [1]، ثم ذكر ما تدوم حياتها بالخضرة التي هي عنوان استمرار الحياة والعطاء وهما من القوت ايضاً فناسب الجمع بين (الزيتون والنخيل) في بلاغة الوصل بقوله (وزيتوناً ونخلاً)، ثم زاد في بيان العطاء الذي يبهج النفوس وتنشرح له الصدور ألا وهو ذكر الحدائق فقال (وحدائق غلباً وفاكهة وأباً) أي ما يجمع دوام حياة الإنسان والحيوان، ومن بديع الاقتران في محسنات الوصل ذكر الفاكهة بعد الحدائق إذ الجامع بينهما البهجة والنظرة التي يتوصل بها إلى الأُنس والراحة النفسية دلالة على حاجة الإنسان إليها، فإما أنْ يكون الانس معنوياً باعتبار ما يرى الناظر ويبهج نفسه فهذه هي الحدائق، وإما أنْ يكون الانس حسياً تستشعره النفوس باعتبار التذوق وما يجد طعمه ولذة شربه فهذه الفاكهة فهذا وجه الجمع بينهما في جمالية الوصل، وذكر (الأبَّ) الذي هو طعام الحيوان موازنة وتمهيداً في تقرير ما بعده تمثّل في بلاغة الفصل بقوله (متاعاً لكم ولأنعامكم)، إلا أنَّ الاعتبار بالايمان والتكاليف وانتظار البعث لأجل الجزاء، فليعتبر الإنسان من حياته قبل فوات الوقت وانقطاع الأجل، لأنَّ المتاع زائل والطعام زائل والإنسان فإن وهناك يوم الفصل لذا ناسبه في بلاغة الفصل، فقد أوجز التعبير القراني في حسن ختام ذكر النعم بكلمة (متاعاً) استعداداً للانتقال إلى دار البقاء والجزاء لذا اعقبها بذكر مشاهد يوم القيامة [2]، فقال تعالى عن ذلك اليوم العصيب ﴿**فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ { 33} يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ {34} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ { 35} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ { 36} لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ {37}**﴾ /33 – 37.

والصاخة كما ذكرها صاحب المفردات هي "شدة صوت ذي المنطق يقال صخ يصخ صخاً فهو صاخ، قال (فإذا جاءت الصاخة) وهي عبارة عن القيامة

---

(1) تفسير غريب القران:/514.

(2) وقد فصلها الرازي بأنَّ العبرة هي: التوحيد وبيان القدرة على المعاد وذكر الإحسان على العباد والمسارعة إلى الطاعة وتجنب الكبر، وأكدَّ هذه المعاني بذكر أهوال القيامة، ينظر التفسير الكبير: 64/31.

حسب المشار إليه بقوله (يوم ينفخ في الصور) [1]، وهو لفظ له دلالته الصوتية فهو "لفظ ذو جرس عنيف ناقد يكاد يخرق صماخ الأذن وهو يشق الهواء شقاً حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً"[2].

ونجد جمالية الفصل في بلاغة التفصيل والتحديث عن ذلك اليوم حتى يكون مشهداً حاضراً أمام الأعيان، فقال (يوم يفر المرء)، ثم جاء الترتيب اللفظي متمثلاً بذكر ألفاظ الأسرة على النحو الآتي: الأخ – الأم – الأب – الزوجة – والبنين، مع دقة الاستعمال بأسلوب الاقتران الثنائي أولاً بذكر الوالدين ثم عطف عليها الزوجة والابن وذلك يرشح نكتتين بلاغيتين:

الاولى: تعظيم أهوال يوم القيامة وشدة الموقف إذ يفر الإنسان من أقرب الناس إليه آصرة وقرابة والمعنى "المراد إنَّ الذين كان المرء في دار الدنيا يفر إليهم ويستجير بهم فإنه يفر منهم في دار الآخرة..." [3]، ونجد دلالة الهروب في استجلاء المعنى "فكون أقرب الناس للإنسان يفر منهم يقتضي هول ذلك اليوم بحيث إذا رأى ما يحل من العذاب بأقرب الناس إليه توهم أنَّ الفرار منه ينجيه من الوقوع في مثله... "[4].

الثانية: بلاغة الوصل بين أفراد الأسرة "فبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قال: يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه"[5].

ومن محسنات الوصل أن الفرار يكون من العزيز فالأعز، أي "يبدأ بالأخ وهو عزيز على النفس ولكنه دون الأم والأب، ثم يحمله الأمر على أنْ يضحي مرة أُخرى فيضحي بالأم والأب وهما عزيزان على نفسه كذلك ولكنهما دون الزوج والابن ثم يحمله الأمر على أنْ يضحي مرة أخرى فيضحي بالزوج وقد سماها

(1) الراغب/275.

(2) في ظلال القران: 472/8.

(3) التفسير الكبير: 65/31.

(4) التحرير والتنوير: 135/30.

(5) الكشاف: 548/4.

القران الصاحبة وهي بهذه التسمية أقرب إلى الرجل من أبيه وأمه.." [1]، والذي يبدو في سياق الوصل أنَّ الإنسان أول ما يهرب من الأخ لأنه يعد العضد والسند في الشدائد، ثم ان الإنسان بطبعه عند المصائب يعود إلى أقرب الناس مودة إليه ألا وهم الوالدان والى أكثرهما حناناً ومودة ألا وهي الأم لذا قدمها على الأب، وبعدها إلى شريكة الحياة ومن تقاسمه الكد فيها إلى من يجد عندها المودة والرحمة، ولكن لا سبيل إلا الفرار منهم جميعاً وحتى الأبناء يفر منهم الآباء فلا رجاء إلا للعمل الصالح ولا حياة يومها إلا لأهل التقوى والإيمان، "وحيث كان فرار المرء من الأقرباء الخمسة يقتضي فرار كل قريب من أولئك من مثله كان الاستئناف جامعاً للجميع تصريحاً بذلك المقتضى فقال (لكل امرئ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه) أي عن الاشتغال بغيره من المذكورات [2]، وهذا من رائعة التناسب البلاغي إذ يعد من باب ذكر السبب وحسن التعليل لما سبق، ثم ذكر المصير في ختام السورة في حسن المقابلة التي مطلعها أسلوب الفصل تمثل في الاستئناف البياني بقوله تعالى ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ {38} ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ {39}**﴾ /38 – 39.

تقابلها صورة لسوء حال الكافرين تمثلت في أسلوب الوصل في قوله ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ { 40} تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ { 41} أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ {42}**﴾ /40 – 42.

ومن بديع الاستعمال القرآني تقديم ذكر حال المؤمنين على حال الكافرين مناسبة لبؤرة السورة الموضوعية "لأن هذه السورة أقيمت على عماد التنويه بشأن رجل من أفاضل المؤمنين والتحقير لشأن عظيم من صناديد المشركين فكان حظ الفريقين مقصوداً مسوقا إليه الكلام وكان حظ المؤمنين هو المتلفت إليه ابتداءً" [3]، وهذا من بديع النظم في ترابط حسن مطلع السورة وحسن ختامها في أسلوب

---

(1) صفاء الكلمة، د. عبد الفتاح لاشين/221 – 222.
(2) التحرير والتنوير: 136/30.
(3) م.ن: 137/30.

الفصل والوصل، وقد خص مدح المؤمنين في ذكر إسفار وجوههم أي إشراق لونها لأنَّ الإسفار يختص باللون[1]، قد علاها السرور والفرح.

ثم ذكر سوء حال وجوه الكافرين قد علاها الدخان والغبار تمثلت في بلاغة التقديم والتأخير بقوله (عليها غبرة) تشنيعاً بحالهم لأنَّ الوجه محل إظهار النعمة كما سبق أو النقمة وإليه ينظر الناس لذا خصه بالذكر، وليس هذا فحسب بل (ترهقها قترة) بتقديم المفعول به على الفاعل لتأكيد سوء المصير لهم أي سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه [2]، فحقق أسلوب الوصل نكتة بلاغية تفيد تنبيه المخاطبين على هذا المصير إما سعادة وإما شقاء.

ثم ختمت الآية بذكر أسوء صفاتهم وهي الكفر والفجور برزت في بلاغة الفصل دون العطف دلالة على أن الصفتين قد اجتمعتا فيهم، فقد ذكر الرازي نكتة ذلك فقال "وكأن الله تعالى جمع في وجوههم بين السواد والغبرة لما جمعوا بين الكفر والفجور والله اعلم"[3].

وهناك تناسب معنوي آخر في ذكر صفة (الفجور) بعد (الكفر) "مع أنَّ وصف الكفر أعظم من وصف الفجور لما في معنى الفجور من خساسة العمل فذكر وصفيهم الدالين على مجموع فساد الاعتقاد وفساد العمل"[4] وهو قول بليغ.

فقد تدرج اسلوب الوصل والفصل مع موضوعات السورة المتعددة من مطلعها في "بيان حال الأعمى وذكر شرف القرآن والشكاية من أبي جهل وإنكار البعث والقيامة وإقامة البرهان من حال النبات على البعث وإحياء الموتى وشغل الخلق في العرصات وتفاوت حال أهل الدرجات والدركات في قوله (وجوه) إلى آخرها"[5].

فنجد جمالية تناوب الوصل والفصل في إبراز الوحدة الموضوعية لسورة عبس وقد أدى "الوصل دوراً مهماً في تصوير أحداث القصة وفي ربط عناصرها

---

(1) ينظر المفردات/233.

(2) الكشاف: 548/4.

(3) التفسير الكبير: 66/31.

(4) التحرير والتنوير: 138/30.

(5) بصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز، للفيروزآبادي: 501/1.

بعد تحويلها إلى مشاهد قصيرة... والفصل والوصل في كل ميادينه يراعي الجانب المنطقي ويراعي مقتضى حال المخاطب نفساً وعلماً وذوقاً"[1].

نتائج البحـث

برز أسلوب الفصل والوصل من مطلع سورة عبس لتجسيد موضوع تزكية الأعمى (ﷺ)، وختمت السورة بأسلوبي الفصل والوصل تأكيدا لهذا المعنى، ومن النكت البلاغية التي تم رصدها ما هو أتٍ:

1. في مطلع السورة نجد جمالية التناسب اللفظي مع موضوعها فقد حصل الالتفات البشري من الرسول الكريم قابله جمالية بلاغة الالتفات، ومن التناسب أيضاً أنَّ حرص الأعمى على استماع القران الكريم قد برز في أسلوب الوصل تعبيراً عن إقباله وحاله مع الرسول عليه الصلاة والسلام كما في قوله (وأما من جاءك يسعى)، وجاء التعبير بأسلوب الفصل كاشفاً عن حال المعرضين عن دعوة الإسلام مناسبة لهم كما في قوله (أما من استغنى).
2. تجلى أسلوب الفصل والوصل في مجال التذكير بالنعم وإحسان الله على خلقه باسلوبي الوصل والإطناب وهذا يناسب ما غمر الله عباده من النعم، إذ إنَّ شكرها يحتاج إلى هذا الاستغراق اللفظي من أجل الاعتبار.
3. ومن جمالية الفصل والوصل في وحدة البناء اللغوي التقابل في خاطب الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله (فأنت له تصدى) وقوله (فأنت عنه تلهى) بين حال المقبل إلى الإسلام والمعرض عنه، وكذلك بين مدح ابن مكتوم (بالسعي والخشية) وبين ذم المستغني، أي تقابل بين الإقبال والإدبار، وكذلك التقابل في حسن عاقبة المؤمنين وسوء مقام الكافرين.
4. برز الفصل والوصل في مشاهد يوم القيامة إذ جاء المعنى بأسلوب الفصل تعبيراً عن حالة الفرار وهو يناسب معنى الانفصال عمن حوله تمثل في قوله

---

(1) الفصل والوصل في القران الكريم/135.

تعالى (يوم يفر) ولتجسيد هول المشهد حيث يفر الكافر من العزيز إلى الأعز تجلت في أسلوب الفصل.

5. ختمت سورة عبس في إقرار مبدأ الثواب والعقاب من خلال ذكر حسن وجوه المؤمنين وردت بأسلوب الفصل تميزاً لهم من غيرهم وتعظيماً لأجرهم، وتعاضد أسلوبي الوصل والفصل في إقرار سوء وجوه الكافرين الذين ارتضوا أسوء الصفات وهي الكفر والفجور.

وهذا يناسب مطلع السورة من باب ربط أسباب الإقبال إلى الإسلام بنتائج وعوائد الإيمان بالنجاة والأمان يوم القيامة.

1430هـ/2009م

Conjunction and Disjunction in Surat Abas in the Glorious Qurān

Dr. Ma'an Tawfiq Daham*

Abstract

The Glorious Qurān remains the focus of reflection and I'jaz (inimitability). One aspect of this I'jaz is the structuring of words and sentences. This is reflected by conjunction and disjunction style that highlights the correlative meanings between words and sentences to give a highly stylistic image of Qurānic expression. One of the suras that reflects this style evidently is surat Abas. In this sura, conjunction and disjunction style represents an eloquent texture in its coherence from the outset up to the end of the sura. The present study deals with a significant aspect of eloquent I'jaz in the Arabic sentence. The study introduce an introduction that analyses the sura rhetorically. It also explains "conjunction and disjunction" from linguistic viewpoint. Then, the study reviews the practical examples of this style in the sura. Finally, the main conclusions were stated.

* Dept. of Arabic/ College of Education for Girls/ University of Mosul.